

- ٢٢١ ، ١٦ الاسكتندية صحيفه الاسكتندية
 ، ، ، ٢١ المملكة لاسلامية صحيفه المملكة الاسلاميه
 ، ٢٢٣ ، ٨ الذى نحن شانه صحيفه الذى نحن فى شانه
 ، ، ، ١٠ ووزاره تصحيحه ووزراء
 ، ، ، ١٨ من الجيلان صحيفه من جيلان
 ، ٢٣٣ ، ٧ فضلاً الثالث . ، فضلاً عن الثالث
 ، ، ، ١٨ والمرضوع . والموضوع
 ، ٢٣٨ ، ٢٣ والاذوية ، والاوذية بتقديم الواو على الذال المعجمة
 ، ٢٤٠ ، ٢٧ وجاء بعدهم ابن ارفع راس شاهر المامون صحيفه راس
 شعراء المامون
 ، ٢٤٢ ، ٢٧ وزجمل كل قديم حديثاً فى عصره ، وكل شرف خارجيه
 (كذا) فى اوله . والاصح ... وكل شريف خارجياً فى اوله . والحسارحى من
 يسود بنفسه من غير ان يكون له قديم
 ، ٢٤٤ ، ١ وممايب والاصح وممايب
 ، ٢٤٧ ، ٢٣ تعالى ... تيمه الدهر والاصح تعالى ... قيمه
 الدهر
 ، ٢٤٩ ، ٢٥ بالقصائد والاصح بالقصائد
 ، ٢٥٥ ، ٥ من مشايخ الشعراء والاصح مشايخ
 ، ، ، ١٦ باصفان والاصح باصفهان
 ونقف عندهذا الحد من اغلاط الطبع لئلا يطول بنا الكلام الى الملل والسآمة

لباس الحيوانات وتكرارها (١)

Le Travestissement chez les Animaux.

ان من نظر الى الطبيعة نظرة مدققي ، ووقف بين يديها وقفة محقق ، يأخذ الدهش ، ويمتريه الدهر ، مما يتنبه من وجود الوقوق والونام فى اجزائها ،

(١) قد اعتمدنا فى هذه المقالة على احدى المجلات الفرنسية وهي Lectures

pour Tous , V année No. 6.

وارتباط بعضها ببعض ارتباطاً محكم العرى ، مجدول القوى . انظر الى هذه النباتات على انواعها ، ترها قد خلقت صالحة للبيئة التي تنحيا وتموت فيها صلاحاً ليس وراءه شيء . واذا امعنت في النظر ، تجاوزت فيه تحنوم النبات ، قبلت مملكة الحيوانات ، ترى هناك من الوثام والوفاق بين الحى وبين الوسط الذى ينشأ ويميش ويقضى ايامه فيه ، ما لم يمكنك الا ان تقضى منه العجب العجيب . ان الطبيعة تحن على كائناتها ولا حنو الاممات على اولادهن ، فانها قد هيأت لها جميع الوسائل ، وذرعها بكل الوسائل ، لتعيش وتدافع عن كيانها مدافعة امهر القواد في ساحة الوغى ، ولولا غريزة التذكر والدهاء ، التي خصتها الطبيعة بالحيوانات ، لما قدرت ان تهرب من الاخطار العديدة التي تتهددها في كل آونة ، وتفلت من قبضة اعدائها القاعدين بها بالمرصاد . فهذه الغريزة تمكن من تغيير الوانها ، وتبديل ازايها تغييراً يجعلها تختلط بوسطها اختلاط الماء بالخر ، حتى لا تكاد تميز عما يحيط بها ، وقد تأخذ بعضها صورة نبات او جماد احسن اخذ حتى انها تقلدها ابداع تقليد او تشبه بحيو ان فنطه هو بعينه ، ومع ذلك ليس هناك من رابطة قرابة .

١ . الوان الحيوانات

ان الوان الحيوانات تتضارب بتضارب مناخ موطنها ، واختلاف اقليم بيتها فهي توجد في الفلوات الواسعة الرملية ، والسهول التي يكسوها الجليد ، والاحراج الظليلة ، والجبال ، والمروج ، والمستنقعات ، والانهر . فتعدد الوانها بتعدد موطنها ، وتتردى برداء يناسب محيطها .

فالحيوانات التي مسكنها فلوات افريقيا الواسعة الاطراف ، الممتدة الاكناف ، تمتاز بوحدة لونها الآدم ، ويخال الناظر اليها ان الشمس قد لوحتها ، كانهصر حرارتها رمل صحرائها التي تتوغل فيها هذه الحيوانات مثل الاسد والجل والغزال .

فلنقف هنا قليلاً ونسأل : هل يمكن ان يرجع هذا الامر الى العرض والاتفاق ؟ لا لعمري ، فانه لامر مخنوم ، بل لا مندوحة عنه ، تتطلبه مصلحة تنازع البقاء . فلنفرض اسداً اخضر اللون ، اوسماويه ، اومر قطعاً كالحيه ، ام

لامع الجلد لمعان ريش البيناء في أي بقعة من القفر تختفي هذا الأسد ، ان لم يكن له ملجأ إلا الصخر الجرد ، او الرمل القاحل ؟ أفلا تستوقف الوانه الزاهية الصيادين الذين يمرون به ؟ أولا يضحي لهم غنيمته باردة ؟ هذا من جهة دفع الخطر عن ذاته واما اذا طلب الرزق لنفسه ، فهاجته لفريسته تكون صعبة جدا ، لانها تراه حينئذ ، فتهرب منه لكونه عدوها .

فبوحدة اللون يتيسر الأسد ان يباغت الغزالة او البقرة ، ويهجم عليها على حين غرة منها ، وبهذه الوسيلة نفسها تختفي كل منهما عن عيني عدوها ورام صخرة من الصخور ، ويختلط لونهما اختلاطاً تاماً ، فيمر على مقربة منها ولا يشعر بها .

لتنقل من هاجرة دائرة الانقلاب ، الى شتاء الاقطاب القارس ، تران المنظر بخلاف اختلافاً بيناً عما سبق ، فلا تشاهد ثم ، الا سهولاً بعيدة الاكتاف ، مغطاة بالتلوج ، قد تراكم عليها الجليد ، واشتد فيها البرد ، وساد عليها السكون ؛ لابل تبقى ارضها وبحارها مدفونة مدة اشهر مسجاة بكفن ابيض . فحيوانات هذه الارحاء تنزل برءاء يقيها شر التلوج ، ولون ذاك الرءاء ابيض فاصح كالتلج فتذهب وتؤوب راخية البال لا تختفي طارفاً في تلك البيئة التي يشها ادنى لون ، ويهتك سر وجود سكانها لاسيان .

لتتوغل الآن في الغابات ، وتدخل احراج اميركا ، وازوار الهند المشبكة الاشجار . فماذا نرى ؟ نرى جماعات من الشجر فيها الكبيرة والصغيرة ، القديمة والحديثة ، فيها النباتات المقتبسة باخواتها تلتف حول الاغصان كأنها الافقوان وكثيراً من الحفشار المتشجر . فجميع تلك البقاع هي عبارة عن قطعة واحدة من النباتات الخضراء الناضرة ، والازهار البديعة ، لكانها وهرة المسلك ، لا يمكن ان يمر بها الانسان الا بكل عناه اوبشق النفس ، لانه لا يوجد فيها مخرف . فياله من منظر بديع يخلب الالباب ! وما يزيد حسناً على حسن ، نفوذ اشعة الشمس بين الاوراق ، فتبين تلك الامكنة كأنها منورة بنور صني ، تقاطعها الاظلال والاشعة . فهناك تختفي حيوانات رائعة لها في ذلك التوارى غاية ، تمود عليها بالنفع ، لحفظ كيانها وقسيام وجودها .

هناك يكون شعر الحيوانات الموجودة فيها ، ارقش او منقش باللون المختلفة ، كالنمر ، والفهد ، فكأن المحيط قد اثر عليها تأثيراً ظاهراً ، وصبغها باللون مرقطة ، تشبه جذوع الاشجار ، والاوراق السقي ترى نارة تحترقها الانوار وطوراً تبقى في الظل .

ان ما قلناه عن لون الحيوانات التي تعيش في الاراضي الرملية ، وعلى الثلوج ، وفي الغابات ، يصدق ايضاً على لون الحيوانات التي تعيش في المروج فانها تمتاز بخضرة لونها ، مثل الضفادع ، وبض الحيات ، والحيوانات الصغيرة بالعموم ، من نوع الزحافات ، والضفدعيات ، التي زحف او تعموم او تختبئ في الكلا والبطائح .

٦ : اللون الظاهر

هل تريد برهاناً حسيّاً يؤيد صحة مذهبنا . ويدعم صدق مقالنا ، اى ان لون الحيوان تعينه طبيعة البقعة التي يسكنها ثم اذا طرأ على الارض طارئ ، وتغير لونها ، تسوقه حالاً غير رته الى تغيير لونه ؟ - خذ قرة (ضفدعة صغيرة) وضعها على ورقة خضراء ، بخضرة لونها ، ارفعها من هناك ودعها على جذع شجرة مرقط قائم اللون ، فلا تبطل ، ان تبدل لونها ، ويضحي لباسها ارمداً ، مائلاً الى القمعة ، ثم اجعلها على مقربة من شيء معدنى ، فتتلون باللون الذهبي . ولكن اين هذا التغير من تلون الحرباء الذي يضرب المثل بتقلبه ، فانه ينتقل من حالة الى حالة اخرى خاضعاً لبيئته ، فيظهر نارة دويبة دميعة الخلقة ، وطوراً حسناء ، ومرة يتلون باى لون شاء من ألوان قوس قزح الجميلة ، واحياناً يستقر على ارض جرداء ، فتراه حينئذ اذكن اللون ، وهو يخضر اذا وقف على الاعشاب والاوراق ، وقصارى الكلام ان المتفرج عليه يظن ان الالوان تنعكس فيه ، وذلك اشدة الاشتلاف الموجود بينه وبين محيطه ، وهذا التبدل يجري مجرى مجرىين في المسئلة : اولاً ، يقي الحرباء من حملات اعدائه عليه ، ثانياً ، يواريه عن اعين الدويبات الصغيرة التي يصطادها قوتاله . فالجرباء يقدم افرسته بالمرصاد ساعات طويلاً صابراً متشبهاً بالاغصان ، حتى يتمكن من اصطيادها ، فيمد اليها لسانه الطويل اللدبق ويستترطها هينئاً مريباً .

٤ : تضاد الليل والنهار

كان ألوان الحيوانات تختلف باختلاف الأقاليم ؛ فالاختلاف المناخ والنور والظلام اليد الطولى في منظر الحيوانات . كيف لا والتضاد الدائم الموجود بين النور والظلام ظاهر في كل الموجودات من حي وجامد . فالطبيعة لوحان : الواحد ، لامع مبهج تظهر عليه سماء السرور والابته ، وهو لحيوانات النهار المزدانة بالوان زاهية . واللوح الثاني ، مصمت محزن يقبض القلب ويكرب النفس وهو لحيوانات الليل والفسق .

ان ألوان حيوانات النهار لامعة لمعان نور الشمس ، كالفراس التي يتبعها الاولاد في المروج ، وكطيور المناطق الحارة البديعة المزينة تزييناً عجيباً فتناً ، تهيج ألوانها الناظر ، وتسرع الخاطر ؛ ويصدق ان يقال فيها انها حلى الطبيعة . اما حيوانات الليل فهي متردية بلباس حزين يوافق ظروفها ، ويناسب اخلاقها ، ورداؤها رداء الظلام والسكون لونه ارمـد او اطلس . تراها ساكنة حزينة كئيبة قائمة اللون . ويكفيها ان تذكر الضبع التي جلدها اطلس ، وشعرها خشن ، ومنظرها خداع ، كل ذلك دلائل باهرة على اخلاق المنكر والفـس الموجودة فيها .

ومن حيوانات الفسق الخفاش ولونه اسـحم . وما لنا وهذا الاسهاب الممل فان طيور الليل اجمعها تظهر لنا مشؤومة الطالع ، كالبوم ، والحبل ، والهـام ، ومثلها ابو الهـول . اننا نكره هذه الحيوانات لما في لونها من لون الحداد ولكن ما الحيلة ، وهي لها احسن واقـر تمكنها من ان تطلب رزقها راحية الـبال لا اختلاط لونها بلون السماء ، وتضطاد وترتق بدون ان يدهمها خطر اويهاجها عدو ؟

٥ : في اعماق البحار — بين السراب والماء .

ان هذا الواقع المدهش بين الكائن ومحيطه يشاهد حتى في اعماق المياه ، وان قلنا انه يبالغ اشد هناك لما اخطأنا المرمى ، لان شفوف الماء الازرق ، واختلاف تركيب قعور البحار والانهار ، التي تكون تارة زمليسة ، وطوراً حجرية ، والتغيرات الفجائية الحاصلة بين الظل والنور ، وانكسارات الاشعة

في المياه وموجها فيها تؤثر في الحيوانات البحرية تأثيراً عظيماً . ولهذا نراه في حركة دائمة يتبدل لونها ويتغير شكلها تغيراً فجائياً ومضطرباً كالوسط الذي تسبح فيه . مثال ذلك ان القريدس وذا المنشار لا يتميزان عن المياه الراكدة الا بكل جهد ، لان لونهما شفاف كالزجاج الشديد النقاوة ، وليس فيهما لون اوبقعة تخالف ما يجاورها فيظهر وجودها للعيان . اما السرطان البحري الذي يعيش في السواحل ، فهو على خلاف ذلك ، فانه يتلون بالوان مختلفة يتوارى بها عن الابصار فيختلط بيئته ويفوز بالامان . والبقع الموجودة على قشرته تكون سمراً او غبراً او حمراً بموجب لون حبوب الرمل المختلفة التي تحيط به . ومن الغريب انه اذا وجد في غدير ماء فخل اسرع وانحدر الى قعره واثار الرمل حواله حتى يغطي به فيتوارى حيثئذ عن الابصار يتأنا . واذا انحدرت الاسماك المفلطحة ، كسمك موسى والكنمد وغيرها الى قعر الماء ، لا تبطن ان تحرك زعانفها بكل لطافة ، وتقي عنها الرمل وتبقي هناك ، كأنها مدفونة بحملتها ، ولا يظهر منها الا ارجلها واعينها . ويمكننا ان نقف على مثل هذا المشهد الغريب ان انعمنا النظر في احدي محافظ الاسماك التي تحبس فيها للقرجه والاطلاع على اخلاقها وعوائدها . هذا وكل ما ذكرناه عن مهارة الاسماك ولباقتها في التوارى عن الابصار لا يمد شيئاً بازاء الغريزة التي فطرتها عليها الطبيعة ، اي انها اذا عامت على وجه الماء كان لونها اقم او ازرق او اريد ؛ واذا بلغت القمر اصفر فجأة . وهي تساق الى هذا التلون والى مطابقتها للون الرمل الذي تستقر فيه بفعل غريزتها . واذا تغيرت الوانها صعب تمييزها عما يجاورها الا على من لاتفوته حيلة او تنطور اياً كان .

وما قلناه عن الوسائل التي تتذرع بها الحيوانات المائية تشبهاً بالجموار لتختفي عن عين المراقبين ، يصدق ايضاً في الاخطبوط فانه اذا قام على صخرة دكناه ازرق لونه وقلص ذراعيه وأحنى ظهره فاشبه بخدعته هذه ، صخرة قديمة الايام قد اكل الدهر عليها وشرب . ولا يطيش سحنا ان لقبناه بحرياء البحر اذ انه يبدل لونه الازرق الكمد بسمرة شديدة وبخاكي لون المياه الكدرة على حد ما يتلون الحرباء في البر . يوسف رزق الله نعيمه